بـيروت

عاصمة لبنان وكبرى مدنها، تقع في المنطقة المعتدلة الدافئة (ثلاثين ـ أربعين درجة مئوية شمال خط الاستواء) على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. ويتميز ميناؤها بخصائص طبيعية مميزة بسبب وقوعها في خليج سان جورج المحمي من الرياح الجنوبية الغربية، وامتداد رصيفها على مسافة تتراوح ما بين خمسة وعشرة كيلو مترات نحو الشمال والجنوب الشرقي، بحيث صارت بيروت ـ قبل الحرب الأهلية ـ العاصمة التجارية والمالية للشرق الأوسط كله. تقوم المدينة على نتوء أرض مثلث الشكل، يرتفع عن مستوى سطح البحر بنحو تسعة وسبعين قدمًا (أربعة وعشرين مترًا) فقط. وتتمتع بيروت بمناخ معتدل ينتمي إلى نمط مناخ البحر المتوسط، فدرجة الحرارة في يناير (الشتاء) لا تنخفض عن ثلاث عشرة درجة مئوية، ولا تزيد على سبع وعشرين درجة مئوية في يوليو (الصيف). وتتلقى بيروت كمية كبيرة من الأمطار تبلغ ثمانمائة وثلاثة وتسعين ملليمترًا في السنة. وتتمثل أهمية بيروت في أنها عاصمة لبنان، وأكبر مدنها وأشهرها، وأهم موانيها البحرية والجوية، وهي المركز التجاري والثقافي الرئيسي للدولة، وهي أكبر ميناء عربي على ساحل البحر المتوسط الشرقي. وتتميز بيروت بتعدد أنشطتها الاقتصادية، وبخاصة التجارة والنقل والاتصالات والصناعة والأعمال المصرفية. وتُعَدُّ أهم المراكز الاقتصادية للشرق العربي كله. ويفسر ذلك بوقوع المدينة في

قلب الدولة، وامتلاكها شبكة جيدة من طرق النقل والاتصالات تجعلها محطة مهمة ليس للبنان وحدها وإنما للدول الأخرى المجاورة وبخاصة سوريا والعراق والأردن، ويؤدي ميناؤها دورًا مهمًّا في تجارة الترانزيت بالنسبة لهذه الدول كما حدث عند إغلاق قناة السويس عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ميلادية، إلى جانب أهميته بالنسبة لمنطقة جنوب غربي سوريا. وبالنسبة لبيروت فهي عاصمة لبنان وأكبر مدينةٍ فيها. تقع في منتصف السّاحل اللبناني على لسانٍ صخري يمتدّ إلى داخل البحر الأبيض المتوسط، وفي سهلٍ تقلّصت مساحته شيئًا فشيئًا بسبب العمران واكتظاظ السّكان. بيروت اليوم مركزٌ للنّشاطات الثقافية والسّياسية والتجارية والمالية، فيها منطقة تجارية حرّة وسوق مالية متطوّرة،وبورصة وبنوك ضخمة تستقطب رؤوس الأموال العربية والأجنبيّة.

وبيروت عاصمة العلم منذ زمنٍ بعيد، وهي محطّ أنظار الطّلاب الذين يَفِدون إليها من مختلف الدّول، وذلك للتّخصص بمختلف أنواع العلوم. ففي بيروت جامعاتٌ عديدةٌ تُخرّج كل عام المزيد من منارات العلم المُشرقة. وأشهر جامعاتها الجامعة الأميركية، جامعةَ القدّيس يوسف، جامعة بيروت العربية وكلّية بيروت الجامعية. ونذكر أيضًا الجامعة اللبنانية التي تُدرّس الاختصاصات كافةً والتي عانت من الإهمال طيلة سنوات الحرب ثم عادت لتضمّ اليوم حوالي 70 ألف طالب في جميع الاختصاصات. تشتهر بيروت بمرفئها الكبير ذي الأحواض الخمسة الممتدّة على ساحلها الشمالي، وهو مركزٌ

للنّشاطات التجارية ولتجارة التّرانزيت بفضل كونها وسيطًا بين الدول الصناعية المُنتجة وسائر الأسواق العربية المُستهلكة. كما تشتهر بمطارها الدولي، وهو على بُعدِ بضعة كيلومتراتٍ منها وقد جُهّز بأحسن التّجهيزات مؤخرًا ليستقبل أحدث الطّائرات وليوفّر الراحة للوافدين إليه من أقطار العالم كافةً. تبلغ مساحته الإجمالية حوالي 3،5 مليون متر مربّع، وفيه مدرجان اثنان للإقلاع والهبوط، طول الأول3250 م وطول الآخر3170 م.

في بيروت عددٌ من المعامل والمصانع ولا سيّما في ضاحيتها الشرقية والأخرى الجنوبية، حيث تقوم العشرات منها بإنتاج مختلف السّلع وسائر المواد الغذائية، والصناعات المعدنية والبلاستيكية، الدهانات، الأدوية، العطارات والمُبيدات، الأدوات الصحية، خيوط الغزل الصوفية، الخيوط الاصطناعية، صناعة النسيج ومواد البناء، الكيميائيّات، المدابغ والمصابن والخـزف والمجوهرات. وفضلًا عن ذلك كلّه، فإنَّ بيروت عاصمة الكتاب العربي، إذ فيها مئات المطابع ودُور الكتب والنّشر. وتصدُرُ فيها عشرات الصّحف اليومية والمجلاّت الأسبوعية والشّهرية.

تعرّضت بيروت للدّمار في الأحداث التي تلت سنة1976، وفي عام 1982 تعرّضت للغزو الإسرائيلي، لكنّها سرعان ما استعادت عافيتها. فهي اليوم تعيد بناء ما تهدّم بالأمس حيث تُقام وُرَش الإنماء والعمار في جميع أنحاء العاصمة لإقامة الأنفاق الكبيرة والشوارع الواسعة، بالإضافة

إلى إعادة ترميم مدينة بيروت الرّياضية التي استقبلت دورة الألعاب العربية عام 1997 .بيروت مدينةٌ قديمة العهد، اشتهرت بمدرسة الحقوق الشّهيرة في أيّام الرّومان وهي اليوم مطمورة يقوم عليها مبنى البرلمان. فُتِحَت بيروت أمام العرب بقيادة معاوية بن أبي سفيان وظلّت على هذه الحال حتّى وقعت في أيدي الصّليبيين إذ أخذها عنوةً بغدوين الإفرنجي سنة503 هـ. ثمّ استنقذها منه القائد صلاح الدين الأيوبي سنة583 هـ. خرج من بيروت الكثير من أهل العلم والفكر والدّين وأشهرهم الإمام عبد الرحمن الأوزاعي الذي أقام فيها حقبةً طويلةً وقبره فيها معروف. مات سنة159 هـ تاركًا مجموعةً كبيرةً من كُتب السُّنن في الفقه والدّين. ومن علماء بيروت الوليد بن فريد العذري البيروتي المتوفى سنة203 هـ والذي روى عن الإمام الأوزاعي. وكان هذا الأخير يقول: «ما عرفتُ فيما حمل عنّي أصح من كتب الوليد بن فريد». ومنهم ولده أبو الفضل العباس بن الوليد المُتوفّى سنة270 هـ، ومحمد بن عبد الله بن عبد السلام بن أبي أيوب أبو عبد الرحمن البيروتي المعروف المكحول الحافظ، مات عام 321 هـ. وبيروت أيضًا مسقط رأس بشارة الخوري الشّاعر المُلقّب بالأخطل الصغير، وهو ذائع الصّيت مات عام 1968.وأهم ما يميز بيروت هو وجود الصخرة الشهيرة (الروشة).

***

طرابلس

طرابلس هي ثاني أكبر المدن اللّبنانية بعد العاصمة بيروت، وتبعد عنها مسافة 83 كلم. تقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسّط. هي مركز محافظة لبنان الشمالي.

تتفرّع من طرابلس عدّة طرقٍ رئيسيةٍ مُعّدةٍ، أهمّها:

1ـ طريق طرابلس ـ بيروت.

2 ـ طريق طرابلس ـ الأرز.

3 ـ طريق طرابلس ـ اللاّذقية في الجمهورية العربية السّورية.

وبها كانت تمرّ سكة الحديد المُتّجهة من فلسطين جنوبًا إلى سوريا شمالًا.

تقع أمام طرابلس جزيرتا الأرانب والنّخيل، وهي تشتهر بموقعها السّاحلي الشمالي المُهم. ومن أهم الزراعات فيها زراعة الحمضيات وسائر أنـواع الخضر والفواكه. مرفأها التّجاري متوسّط الحجم ويُسمّى الميناء. كما تشتهر طرابلس بصناعتها التّقليدية والأخرى الحديثة، وأهمها: صناعة المواد الغذائية والسكاكر والحلويات، والمفروشات، وصناعة الصابون والمُنظّفات والمُبيدات. وفيها مرافق سياحية ومعالم أثرية، أهمّها قلعة طرابلس، بالإضافة إلى نشاطاتٍ مصرفيّةٍ وثقافيةٍ مُختلفةٍ، وأهمّها مشروع معرض طرابلس الدّولي، وقلعة ريمون دي تولوز الصّليبية، ومساجد عديدة تعود إلى أيّام المماليك. وكان في طرابلس مصفاة نفط مشهورة.

obeikandl.com

طرابلس مدينةٌ عريقة في القِدَم. كان يُطلَق عليها اسم «طرابلس الشّام» تمييزًا لها من «طرابلس الغرب». وأُطلِقَ عليها اسم «الفيحاء» لكثرة بساتينها وتنـوّع أشجارها وورودهـا ورياحينها. أسّسها الفينيقيون عام 800 ق.م، وفتحها العرب عام 638 م. ازدهرت أيّام حكم بني عمّار لها، في القرن الحادي عشر للميلاد. حكمها الصّليبيّون ثم استرجعها منهم السّلطان قلاوون. خرجت من طرابلس جماعةٌ من أهل الفضل والعلم منهم: ـ معاوية بن يحيى الطّرابلسي، ويُكنّى أبا مطيع، حدّث عن مكحول والزّهري ـ سعيد بن عجلان الطّرابلسي. ـ إسماعيل بن الحارث الطرابلسي. ـ عبد الله بن إسحاق الطّرابلسي. ـ خيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي، أحد أهمّ حاكمي الشّام. ـ محمد بن سليمان الطرابلسي. ـ حمزة بن عبد الله.

***

بـعلبـك

بعلبك مدينةٌ لبنانيةٌ تقع في قلب سهل البقاع الذي اشتهر بغناه ووفرة محاصيله الزّراعية لامتداد أراضيه. تحيط بها من الشّرق والغرب سلسلتا جبال لبنان الشرقية والغربية. وهي مركز قضاء بعلبك بمحافظة البقاع. تعلو بعلبك عن سطح البحر1150 م، وتبعد عن العاصمة بيروت

حوالي 90 كلم. تشتهر بالزراعة وخصوصًا زراعة الخضار والفواكه والحبوب وأشجار المشمش التي تملأ أرجاءها، كما أنّها تشتهر بالتّجارة. الصّناعة فيها تقليديّة، ونذكر من أهمّ صناعاتها صناعة السكاكر والحلويات والحياكة والنسيج، وهي ذات شهرةٍ واسعةٍ بـ»صفيحتها البعلبكيّة».

تعود بعلبك إلى زمن الفينيقيين. عُرِفَت في العهد السّلوقي باسم «هليوبوليس» أو «مدينة الشّمس». احتلّها الرومان في القرن الأول الميلادي وكانت عبارة عن مركز عبادة جوبيتير. وقد شيّد الرومان فيها هياكل شتى، وكانت تُقام فيها المهرجانات الدولية التي غابت طيلة أعوام الحرب، ثم عادت من جديدٍ في صيف العام 1998. أشهر ما في بعلبك قلعتها الأثرية التّاريخية التي تُعتَبر مجدًا حضاريًا لن نعطيه حقّه حتى لو بالغنا في الوصف. أشهر آثارها: الهياكل الرومانية ومعبد باخوس خاصّةً. وهي مقصدٌ سياحيٌ مُهمٌ يفده الزّائرون من كافة أنحاء العالم، حسبها أنّها بُنِيَت على أساطين الرّخام التي لم يكن لها نظير. « قيل إنّ بعلبك كانت من صنع بلقيس».

فُتِحَت بعلبك زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد أبي عبُيدة بن الجرّاح. ونذكر من أهمّ مساجدها المسجد الأموي الذي يعاد ترميمه حاليًا ومسجد الظاهر بيبرس.

أما عن عُلماؤها فيُنسَب إلى بعلبك جماعة من أهل العلم منهم «قسطا بن لوقا» البعلبكي الذي كان بارعًا في علومٍ كثيرةٍ، منها الفلسفة والطّب

والهندسة والإعداد والموسيقى. وكان فصيحًا باللّغة اليونانية، ولـه من الكتب كتاب «الدم والبلغم والصفراء والسوداء» وكتاب «المرايا المحرِقة» وكتاب «الأوزان والمكاييل» وكتاب «السياسة» وكتاب «الفصل بين النفس والروح» وكتاب «المدخل إلى المنطق».

والإمام عبد الرحمن الأوزاعي الذي نزل من بعلبك وقطن في بيروت. ومحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن أبي المضاء البعلبكي، المعروف بالشيخ الديّن. وأبو جعفر الفارسي الورّاق. وعبد الرحمن بن الضّحاك بن مسلم البعلبكي، المعروف بابن كسرى. والشاعر اللبناني خليل مطران، المُلقّب بشاعر القطرين مصر ولبنان، له «ديوان الخليل». وأشهر قصائده «الأسد الباكي» و«آثار بعلبك». وتوفّي عام 1949م، وصنفتها مُنظمة اليونسكو مدينة تُراثية عالمية عام 1984.

***

صور

مرّ على صور المدينة الساحلية اللبنانية عدد كبير من الملوك والحكام، من الملك أحيرام مرورًا بأليسـار أو أليسا الأميرة الفينيقية التي بنت مدينة قرطاج في تونس، والملك البابلي نبوخذ نصّر الذي حاصر المدينة لمدة 13 عامًا وصولًا إلى الإسكندر الكبير الذي فتح صور بعد أن صمدت في وجهه حتى نجح في ردم البحر وبناء معبر إليها أشبه بالجسر... وغيرهم كثيرون. اشتهرت

صور في أيام الفينيقيين، بصناعة الأنسجة المصبوغة باللون الأرجواني النادر والمستخرج من أصداف بحرية. وقد أصبح هذا اللون بفضل تميّزه ونُدرته، اللون الملكي بامتياز للأباطرة والملوك ومن ثم لكبار رجال الدين. هذا الصدف البحري معناه باللغة الإغريقية «فونيق» ومن هنا أطلقت التسمية بداية على سكان صور ومن ثم على الكنعانيين في تلك المناطق. عرفت صور شعوبًا متنوعة كالمصريين والآشوريين والفينيقيين والإغريق والبيزنطيين والعرب والعثمانيين، إلا أن الرومان كانوا من تركوا بصماتهم الواضحة على معالمها، منها أكبر مضمار روماني في العالم لسباق العربات التي تجرها الخيول وقوس نصر ضخم ومقبرة رومانية جماعية وغيرها.

تنتشر أثار صور التراثية والتاريخية في ثلاثة مواقع رئيسة، هي: موقع الميناء. فيه طريق معمّدة طويلة تصل السوق بالميناء. أما الأرصفة فبعضها مصنوع من الفسيفساء البيزنطية. في الموقع أيضًا حوض سباحة روماني مستطيل وحمّامات رومانية ومبانٍ سكنية أرضياتها مصنوعة من الفسيفساء وأحجار كبيرة هي بقايا لحائل الأمواج ومحطّات السفن الفينيقية.قسّم هذا الموقع مدينة صور إلى مدينتين ربط بينهما الملك أحيرام في القرن العاشر قبل الميلاد. موقع الكاتدرائية الصليبية. فيه أساسات الكنيسة التي تعود إلى القرن الثاني عشر إضافة الى أعمدة من الصوّان. وتقول الأسطورة أنه تمّ تتويج ملك القدس في هذا الموقع، وكذلك دُفن فيه الملك الألماني فريدريك بربا روسا. ويلاحظ الزائر أنّ الكاتدرائية محاطة بشبكة طرقات ومبانٍ رومانية وبيزنطية. موقع البصّ الذي يبعد سيرًا على الأقدام حولي 30 دقيقة عن الموقعين الآنفي الذكر. نعبر خلاله حيّ الرمل وهو حيّ صور السكني الذي بناه الإسكندر الكبير خلال حصاره للمدينة في العام 332 ق.م. ونجد في هذا الموقع بقايا لقنوات جرِ المياه إلى المدينة ومقبرة كبيرة فيها حجارة مزخرفة

أو منقوشة ورخام نواويس تعود إلى عهد الرومانيين والبيزنطيين. إضافة إلى بقايا أكبر مضمار روماني في العالم حيث كانت تُقام سباقات المعجلاّت في تحدٍّ رهيب للموت. لكن روعة صور لا تقتصر على آثارها ومواقعها التاريخيّة فحسب، بل في أنها أيضًا محطّة مهمة لعشاق رياضة الغطس، أو لاستكشاف الأطلال الرومانية والفينيقية القابعة في قاع البحر، أو لمشاهدة حلزون الصدف الأرجواني الشهير. كل هذا دون أن ننسى الأسواق العثمانية القديمة والمطاعم الواقعة على طول الميناء والتي تقدّم المأكولات البحريّة وثمار البحر الطازجة. نجد بالقرب من صور أيضًا عدّة مواقع دينية مهمّة، منها: قبر الملك أحيرام الذي عاصر الملك داود والملك سليمان وضيعة قانا حيث حوّل السيد المسيح الماء إلى خمر.

***

زحلة

مدينة زحلة اللبنانية معلقةٌ على جانبيّ مضيقٍ من سفح قاعدة جبل صنّين، شَقَّته السيول فيما مضى من العصور وأبقته مجرى نهر، هو نهر البردوني الشهير النّابع من مغارةٍ في سفح صنّين. وما إن تدخل المياه زحلة حتى تستقبلها أشجار الحور والزيزفون والصفصاف والشربين والجوز والسنديان النابتة على جنبات مقاهي وفنادق هي الأولى في الجودة والرّوعة في لبنان.

سُمّيَت زحلة «عروس البقاع» و«مدينة الشّعر والخمر» و«عرين الأسود» وكلّها صفات تميّزت بها مدينة زحلة، عاصمة البقاع، حيث القرميد سيّد المظاهر فيها وحيث الأبنية القديمة تتمازج مع الحديثة منها برونقٍ لا مثيل له. أمّا إذا شئت النظر من علٍ، فمن أعالي برج سيدة زحلة والبقاع سوف

تكتشف قلعة راشيا المُطمئنّة في أحضان جبل حرمون (جبل الشيخ) وقلعة عنجر الأثرية وأطلال بعلبك، وينبسط السّهل أمامك كسجادة تشريف لك، ممّا يزيد الشعور لديك أنّك في حضرة «عروس لبنان». وقد أبدع أمير الشّعراء «أحمد شوقي» في وصف زحلة برائعته «جارة الوادي» التي غنّتها فيروز وقبلها محمّد عبد الوهاب.

يعود تاريخ مدينة زحلة إلى أكثر من ثلاثمائة عام خلت في منطقةٍ يعود تاريخها إلى أكثر من خمسة آلاف عام تقريبًا. ففي أوائل القرن الثامن عشر أتاها الكثير من المُهاجرين القادمين من مناطق عدةٍ من لبنان حيث أقاموا ثلاثة أحياء، وكان على كلّ حيٍ حاكمٌ.

تمتّعت زحلة ولفترةٍ وجيزةٍ عام 1858 بحكمٍ ذاتيٍ فأضحت «الجمهورية الأولى في الشرق» حيث كان لها نشيدها وعلمها الخاص. وكانت البلدة قد احترقت عاميّ 1777 و1791، كما دُمِّرَت عام 1860 أثناء الأحداث الطائفية آنذاك. ثم نهضت من جديد وأصبحت صلة الوصل في التّجارة والزّراعة ما بين بيروت ودمشق وبغداد والموصل، خصوصًا بعد إقامة الخط الحديديّ عام 1885.

علاقة زحلة بالعَرَق والنّبيذ هي علاقة قديمة ووطيدة، ولقد ورثها الأبناء عن الآباء حيث أقاموا تمثالًا على مدخل المدينة يرمز إلى الخمرة والشّعر، وقاموا بزرع دوالي العنب على الرّوابي المُحيطة بالمدينة كتلال: تل شيحا، تل زينة، وادي حادي، أعالي دير الطوق، بحوشا، حرقات وبئر غزور، وأيضًا «كسارة» حيث النّفَق الشّهير وطوله حوالي الألفي متر، و«علين» حيث دوالي العنب تختلط مع بقايا آثارٍ تعود إلى آلاف السّنين.

تحتفل زحلة في كلّ عام وخلال شهر أيلول بمهرجان «الكرمة والزّهور» حيث يُقام العديد من النّشاطات، ومنها عرض سياراتٍ من الزهور تُمثّل رموزًا وطنيّةً وسياحيةً، إلى جانب انتخاب ملكة جمال الكرمة.

إنّ فنّ البناء والهندسة المعمارية في زحلة جميل جدًا وهو يعود إلى عدّة مئاتٍ من السّنين، جمع فيه الزّحليون الكثير من الفنون المعمارية المُلائمة لطبيعة أرضهم. ومن البيوت الخاصّة الجميلة والقديمة نجد دار الشّيخ خليل جحا حيث العقود الجميلة يعلوها بهو كبير تتشابك فيه القناطر بشكلٍ رائع، حاميةً نفق مقفل اليوم بطول ألفيّ مترٍ يصل هذه الدار بدير مار الياس الطّوق، السّراي القديم الذي يعود بناءه إلى عام 1885، أيّام الحكم العثماني. ولقد شيّد بطريقةٍ تلحظ تصريف المياه عند إقامة الأساسات بأساليب نادرةٍ، أبرزها المزج ما بين الخشب الصّلب والصخور القاسية. إلى جانب ذلك، نجد طرازًا جميلًا من القناطر داخل بهو السّراي، فيه الكثير من الفنون المعمارية الرائعة. إنّ السراي اليوم هو مركز لبلدية زحلةـالمعلقة. وفي مطلع القرن العشرين بدأت زحلة بإشادة الفنادق لاستقبال المُهاجرين والسّياح، فكان «أوتيل الصّحة» الذّي أنشئ على مدخل وادي زحلة عام 1878 ثم «أوتيل أميركا» ذو الواجهة الرّائعة والفن العريق و«أوتيل عقل» و«أوتيل قـادري» الذي شُيّد عام 1906 وهو جزء من تاريخ زحلة. ففي عام 1914 وأثناء الحرب العالمية الأولى، حوّل جمال باشا العثماني هذا الفندق إلى قيادةٍ ومستشفى لجيشه. ومن هذا الفندق أعلن الحاكم العسكري الفرنسي الجنرال غورو عام 1920 قيام لبنان الكبير بحدوده الحالية. من أسواقها سوق البلاط وهو السوق القديم لزحلة، وكان مركزًا للتجارة والتواصل ما بين القادمين من سورية وبيروت وبغداد وفلسطين، وسُمّي هكذا نظرًا لرصفه بالبلاط عام 1888. وهناك سوق «حوش الزّراعنة» الذي أنشئت

فيه عدة خاناتٍ، وكان مركزًا للصّناعات والأواني النّحاسية والحرفية، وفيه الكثير من الأبنية والجدرانيات الجميلة التي تجمع ما بين الفنّ العربي والغربي بأسلوبٍ مميّزٍ. بنى الزّحليون أولى كنائسهم حوالي عام 1700، فكانت «سيدة الزلزلة» ومن ثم بُنِيَت كنيسة «مار الياس المخلصية» وهي ثاني أقدم الكنائس. وحوالي عام 1720 بُنِيَ دير «سيدة النّجاة» ذو الفن الهندسي المعماريّ الجميل والبرج العالي. داخل هذا الدير أيقونةٌ رائعةٌ للعذراء قدّمها ملك بفاريا لزحلة. وحوالي عام 1748 بُنِيَت كنيسة «مار ميخائيل» ذات القناطر الداخلية الرائعة. ومن بعدها بَنَت الرّهبنة الشويرية دير «مار الياس الطوق» عام 1755 بعقوده الرائعة وهندسته البديعة، إلى جانب العديد من الكنائس والمزارات، أبرزها: تمثال سيدة زحلة والبقاع البرونزي الذي وصفه الفنّان الإيطالي «بيروتي» عام 1968. والتّمثال يجلس فوق أعلى برج في البقاع (يعلو 54 مترًا)، يستطيع النّاظر من خلاله مشاهدة المناطق المحيطةً بكاملها.

***

القاهـرة

القاهرة هي العاصمة الرسمية لجمهورية مصر العربية، كما إنها تُعد إحدى المراكز الرئيسة للحياة الدينية والثقافية والسياسية في العالمين العربي والإسلامي، وشيدت القاهرة مُنذ أكثر من ألف عام على ضفتي النيل في الموقع الذي يمتد فيه جبل المقطم حتى يبلغ النهر، ويعود تاريخ مدينة القاهرة إلى الفتح الإسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص عام 21 هـ / 642م، واقتنع عمرو بن العاص أن الإسكندرية لا يمكن أن تستمر عاصمة لمصر،

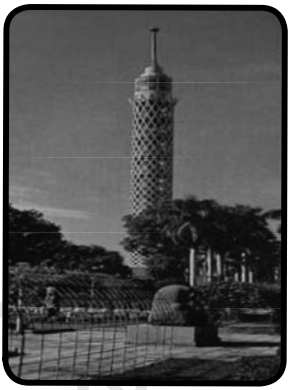

ذلك أنها تقع علي البحر المتوسط ومواجهة للروم مباشرة، وإذا حدث أي هجوم علي مصر ستقع العاصمة في يد الروم وبذلك تقع البلاد كلها، لذا قرر بناء عاصمة جديدة خلاف الإسكندرية، فأسس عمرو بن العاص مدينة القاهرة في المكان الفسيح الذي يقع إلى الشمال من حصن بابليون حيث عسكرت قوات المُسلمين للمرة الأولى وأسماها الفسطاط، واختار لها عمرو رأس دلتا النيل وهو موقع له أهميته من الناحية العُمرانية والحربية وبذلك تكون الفسطاط في مأمن من هجمات العدو، وتكون في الوقت نفسه قريبة من الأراضي الزراعية مما يسهل وصول المُؤن لسكانها، وللجنود المحاربين بها، وراعى عمرو بن العاص في اختياره لموقع المدينة أن يكون لها جانب يُمكن أن يَطرد فيه اتساعها وهو الجهة الشمالية الشرقية التي بنيت فيها مدينة العسكر والقطائع والقاهرة فيما بعد، وعندما انتقلت الخلافة لبني العباس، أسسوا حاضرة أخرى جديدة لدولتهم الناشئة إلى الشمال الشرقي من الفسطاط، في مكان عُرف في صدر الإسلام باسم الحمراء القُصوى، وفي ذلك المكان أقام العباسيون دورهم واتخذوا مسكنهم، وبنى صالح بن علي دار الإمارة وثكنات الجُند، ثُم شيّد الفضل بن صالح العسكر في وسط المدينة، وبمرور الأيام اتصلت العسكر بالفسطاط وأصبحت مدينة كبيرة، وقد ظل أمراء مصر يُقيمون في دار الإمارة في العسكر.

وعندما قامت الدولة الطولونية وجد أحمد بن طولون أن الفُسطاط ضاقت بساكنيها، فأسس مدينة القطائع عام 256 هـ / 870 م، وأقام في وسطها مسجدًا جامعًا سُمي باسمه، وتُعتبر مدينة القطائع أول مدينة

ملوكية أنشئت في وادي النيل في العهد الإسلامي، إذ كانت مقرًاَ للحاكم مُستقلة استقلالًا تامًا، ولا تربطها بالحاكم العباسي ببغداد غير التبعة الدينية، وقد تأثر أحمد بن طولون عند تأسيسه للعاصمة الجديدة بتخطيط مدينة سامراء التي نشأ فيها قبل مجيئه إلى مصر، فقد كانت كُل منهما مقسمة إلى خطط أو قطائع، وتضم كل واحدة منها جماعة من السُكّان، وتربط بينهم رابطة الجنس أو العمل، ومن ثم أصبح اسم القطائع علمًا على مدينة ابن طولون، وقد كان هذا الاسم يُطلق في سامراء على كل أحياء المدينة، فيما عدا القصور الملكية، ثُم قام الفاطميون بالاستيلاء على مصر وأسس جوهر الصقلي قائد جيوش الحاكم الفاطمي المُعز لدين الله مدينة القاهرة عام 359 هـ/ 970م، وبعد استيلائه على مصر بعام واحد بنى حولها سورًا على شكل مُربع، وكانت مساحة الأرض التي حددها السور تبلغ 340 فدانًا، وفي وسط هذه المساحة، بنى جوهر الصقلي قصرًا كبيرًا بلغت مساحته 70 فدانًا، وجعل خمسة وثلاثين فدانًا للبُستان الكافوري، ومثل هذه المساحة للميادين، والباقي وزعت مساحته على الفرق العسكرية.

وأنشأ جوهر الصقلي مسجدًا بالقُرب من قصر الحاكم عند الجهة الغربية من ميدان باب الشعرية، ولم يكن قصد جوهر الصقلي من إنشائه مدينة القاهرة في بادئ الأمر أن تكون قاعدة أو دارًا للحكم، بل لتكون سكنًا للحاكم، وحرمه، وجنده، وخواصه، فنشأت القاهرة مدينة متواضعة للدولة الفاطمية الناشئة، واستمرت حينًا بعد قيامها مدينة ملكية عسكرية تشمل على قصور الحكام ومساكن الأمراء ودواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح، ثُم أصبحت بعد إنشائها بأربع سنوات، أي في عام 363 هـ/ 974 م عاصمة للدولة الفاطمية، وانتقل المُعز وأسرته من المغرب واتخذ مصر موطنًا له، ولم يكن لقاطني مصر أن يدخلوا المدينة الملكية إلا بعد أن يُؤذن لهم، وكان مفوضو الدولة الأجنبية

الذين يحضرون الحفلات الرسمية يترجلون عن جيادهم ويسيرون نحو القصر بين صفين من الجنود على النحو المتبع في البلاط البيزنطي، وسرعان ما اتسعت المدينة الناشئة ونمت نموًا ملحوظًا وتبوأت مكانتها المرموقة في ظل الحكام الفاطميين واتصلت مبانيها بمباني الفسطاط، وصارتا تُؤلفان معًا أكبر المدن الإسلامية في العصور الوسطي.

وتميزت القاهرة مُنذ إنشائها بجمال مبانيها، فقد تناوب حكام الفاطميين والأيوبيين والمماليك على تعميرها فكانت على أحسن ما يكون، وكان النيل آنذاك يحدها غربًا، وكان مجراه حتى عام 688 هـ/ 1289م يمر من فم الخليج إلى شارع نوبار إلى أن يلتقي بشارع الشيخ ريحان حاليًا، ثُم ينعطف شرقًا نحو شارع عماد الدين حيث تنتهي حدود القاهرة عند قرية أم دنين، التي كانت تقع عند موقع جامع أولاد عنان.

وكان ثغر النيل في ميدان رمسيس مُحاطًا بالمصانع والترسانات التي بُنيت فيها أساطيل المُعز لدين الله وصلاح الدين الأيوبي والتي قضى بها على الصليبيين، وكان النهر يمر بعد ذلك بمحطة سكة الحديد الحالية، ثُم بالشرابية ومنية السيرج إلى مبدأ ترعة الإسماعيلية، ونشأت شُبرًا على شكل جزيرة تراكمت حول مركب غرقت في الثغر في عهد الدولة الفاطمية، وكان اسمها الفيل، فسُميت جزيرة الفيل، وزُرعت فيها البساتين، وتردد عليها الأمراء والمماليك للتنزه في روضتها ولممارسة الرماية وغيرها من أنواع الرياضة، أما بولاق فقد نشأت في عهد الفاطميين ثم امتدت فيما بعد حتى

بركة الفيل، كما ظهرت أرض اللوق في عهد الفاطميين والأيوبيين نتيجة لطرح البحر، واسمها معناه الأرض اللينة، حتى عهد الملك الصالح نجم الدين الأيوبي كان هناك ساحل على الخليج استعمله السقاءون، وكان يُسمى باب الخرق الذي حُرّف إلى باب الخلق، والخرق هي الأرض التي تخترقها الرياح، وكان الموسكي في ذلك العهد قنطرة على الخليج أنشأها الأمير عز الدين موسك في عام 584 هـ/ 1189م في عهد السُلطان صلاح الدين، كما قام حي السيدة زينب حول جسر شيده الظاهر بيبرس على الخليج وعُرف بقناطر السباع نسبة إلى رنك بيبرس الذي كان يُمثل سبعًا، أما حي الحسينية فقد أنشأته جماعة من الأشراف قدموا من الحجاز وبنوا المدابغ، وصنعوا الطعام المُسمى الطائفي نسبة إلى الطائف بالحجاز.

كانت القاهرة دائبة النشاط في التوسع والبناء في عهد الفاطميين والمماليك، وقد اجتهد صلاح الدين كثيرًا في تعميرها وبنى قلعة الجبل (المُسماة الآن قلعة صلاح الدين الأيوبي)، وسور القاهرة الممتد إلى أثر النبي، كما أنشأ البيمارستان الناصري أو الصلاحي نسبة إليه، أما الملك الظاهر بيبرس فقد عمّر الجامع الكبير خارج الحسينية وكان فيه مساحة يلعب فيها المماليك لعبة القبق، وجدد الملك الظاهر جامع الأزهر وأعاد فيه الخطبة وأنشأ ضيعة على فم وادي العباسية سماها الظاهرية.

وأكثر ما يُميز القاهرة ذلك الكم الهائل من الآثار الإسلامية، ومن هذه الآثار سور جوهر الصقلي الذي أنشأه مع إنشاء المدينة، ولكن تهدم هذا السور بعد إنشائه بثمانين عامًا، ولم يكن للقاهرة سور في أول عهد المستنصر، لذا كان أول عمل قام به بدر الجمالي وزير الحاكم المستنصر، هو تحصين القاهرة ضد الغزوات الخارجية وضد ثورات الجند الداخلية، فأحاطها بسور

عام 480 هـ / 1088م، وحدود سور بدر الجمالي اعتمادًا على البقايا التي لا تزال تحتل مكانها الأصلي، هي الأبواب الثلاثة المشهورة بالقاهرة، وهي باب النصر، وباب الفتوح في الشمال، وباب زويلة في الجنوب، وهي تُعد من أروع الأمثلة للاستحكامات الحربية في العصور الوسطي، ويُعتبر باب الفتوح خير مثال على ذلك حيث يتكون من بُرجين مُستديرين مُصممين إلى ثُلثيهما، أما الثُلث العلوي فيحتوي على غُرف للجند وفتحات لرمي السهام، ويتوسط البُرجين مدخل معقود تعلوه فتحة تُصب منها السوائل الكاوية على العدو المُقتحم.

وتُعدّ قلعة الجبل أول امتداد كبير خارج السور الفاطمي، فقد بدأ صلاح الدين في بنائها عام 572 هـ / 1176م، ولم يكن هدفه تقوية المدينة ولكن ليتخذه مكانًا يلجأ إليه، وكانت قلعة الجبل تتزود بمياه النيل عن طريق قناطر ترجع في حالتها الراهنة إلى زمن سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الذي قام في عام 712 هـ / 1312م ببناء أربع سواقي على النيل بغرض رفع المياه إلى مستوى القناطر التي تمد القلعة بالمياه، وفي عام 741 هـ / 1341م أدمج فيها بقايا سور صلاح الدين الذي صُمم ليضم «خرائب» الفسطاط، وقد تم ترميم وتمديد هذه القناطر مرات متكررة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وعلى الأخص في فترة سلطنة قايتباي وقنصوه الغوري الذي ترجع إليه على الأرجح خزان توزيع المياه المعروف بـ «السبع سواقي» الموجود على النيل.

وهُناك قلعة أخرى ضاعت كل معالمها اليوم، كانت قد هُدمت ثم أُعيد بناؤها أكثر من مرة خلال عصر المماليك وهي المعروفة بقلعة الروضة التي شيدها الملك الصالح نجم الدين أيوب، وانتشر بالقاهرة عدد كبير من

الحدائق لكن معظمها لا وجود له اليوم بسبب التزايد العمراني الكبير، فمن حدائق القاهرة الشهيرة حديقة قصر محمد علي باشا الكبير بشبرا الخيمة التي أُنشئت على النمط التركي وكانت تضم أندر النباتات في العالم، وكذلك حديقة الفردوس بالجزيرة، وهناك حديقة الأزبكية التي لم تحظ حديقة في مصر كلها بالاهتمام الذي حظيت به، وقد اقتطع جزء كبير منها وأقيم فيه ميدان الأوبرا المعروف بميدان إبراهيم باشا، وظلت حديقة الأزبكية تتباهى بجمالها مُنذ إعادة تجميلها عام 1295 هـ/ 1878م حتى تعرضت لضياع أكثر من ثلثي مساحتها بسبب المشروعات التعميرية، وعلى مسطحات الحديقة الخضراء أُقيمت مباني سنترال الأوبرا ومسرح الأزبكية ومسرح العرائس ومبنى نادى السلاح ومبنى شُرطة النجدة.

ومن الحدائق الشهيرة أيضًا حدائق الأورمان بالجيزة التي أنشئت في عام 1875م، وكانت تتبع قصر الجيزة وتسلمتها وزارة الزراعة عام 1917 م، وكانت تُعرف بحديقة الأمير حسين كمال وتُحيط بقصره، وتُوجد فيها مجموعة نادرة وقيّمة من أشجار الفيكس والبابمو ومجموعات من النباتات المائية والصبار، وتضم الحديقة بُحيرة صناعية جميلة تربط شاطئيها قنطرة بديعية صُنعت من جذوع وسيقان الأشجار.

وانتشرت أيضًا بالقاهرة البيمارستانات، فقد كانت عمليات الاستشفاء من الأمور التي شغلت بال حُكام المماليك على فترة حُكمهم التاريخية، ومن أجل ذلك حرصوا على إنشاء البيمارستانات وتزويدها بكل الأدوات والأدوية التي تتطلبها، ويُعد بيمارستان قلاوون أحد البيمارستانات القليلة التي ما زالت آثارها قائمة، ويعود السبب في إنشاء هذا البيمارستان إلى نذر من الأمير قلاوون أحد أمراء نور الدين زنكي، وكان قد أصابه مرض

وهو في دمشق عام 1276م، فوجد بعض الأدوية في بيمارستان نور الدين الدمشقي، وبعد أن شفي نذر أن يُقيم مثله في القاهرة، ولمَّا تولى البلاد أوفى بوعده فأقام هذا البيمارستان الذي عُرف باسمه واختار له موقعًا قريبًا من موقع القصر الغربي الفاطمي، وقد ظل هذا البيمارستان مُستخدمًا حتى عام 1856م حيث اقتصر استخدامه على مرضى العقول.

واشتهرت القاهرة على مر العصور بالعديد من المساجد، فهي أول مدينة دخلها الإسلام في إفريقيا، وكان الاهتمام المُتزايد بإنشاء المساجد فيها لدرجة أنه أطلق عليها مدينة الألف مأذنة، وقد خلّف الملوك والأمراء الذين تعاقبوا على حُكم مصر العديد من المساجد التي ما يزال الكثير منها موجودًا حتى الآن.

من المعالم الأثرية المُهمة في القاهرة أيضًا مسجد عمرو بن العاص الذي بناه بعد انتهائه من تأسيس مدينة الفسطاط، وأقام في وسطها جامعه العتيق، وكان في بادئ الأمر بسيطًا يتألف من بيت للصلاة يشغل مساحة صغيرة، وكان سقفه مطاطًا جدًا، ولا صحن له ولا مأذنة، ومازال الولاة والحُكام يتناولونه بالإضافة والتجديد على مر السنين حتى اتسعت أرجاءه أضعاف الجامع العتيق الذي لم يبق منه سوى قطعة الأرض التي شيدت عليها، فقد زيد فيه وأعيد بناؤه ستة عشر مرة أولها زيادة مسلمة بن مخلد الأنصاري عام 673م فأضاف إليه أربع مآذن تعد أقدم مآذن الإسلام، وآخر زيادة فيه كانت تلك التي قام بها مُراد بك عام 1798م، وفي هذه الزيادة بُنيت عقود رواق القبلة في غير موضعها الأصلي، فجاءت عمودية على حائط القبلة، وكانت في الأصل موازية له، والجامع يتوسطه صحن تُحيط به الأروقة من جهاته الأربع، وتهدم منها الرواقان البحري والقبلي، ولم يبق منها إلا آثار الأعمدة،

ومع هذا فقد احتفظ جامع عمرو ببعض العناصر المعمارية التي ترجع إلى أصوله الأولى التي نجدها في شبابيكه الجصية. ومن المساجد الأثرية المُهمة الباقية أيضًا مسجد أحمد بن طولون وهو من أكبر مساجد العالم الإسلامي التي شُيدت في مُنتصف القرن الثالث للهجرة / التاسع الميلادي، إذ تبلغ مساحته مع الزيادة أي الفضاء الذي يحيط به من جميع جهاته عدا جهة القبلة ستة أفدنة ونصف الفدان، وهو مُشيّد فوق الربوة الصخرية المعروفة بجبل يشكر في الطرف الجنوبي لمدينة القطائع، وهو من الجوامع المعلقة، إذ يُصعد إلى أبوابه بدرجات دائرية الشكل.

ومن المعالم الأثرية والحضارية الباقية أيضًا الجامع الأزهر ويرجع تاريخ بنائه إلى عام 359 ـ 361 هـ/ 970 ـ 972م، وقد أمر ببنائه المُعز لدين الله الفاطمي، وشُيد على طراز قريب من طراز جامع ابن طولون، ويُعد هذا المسجد من أهم معالم الفاطميين الباقية حتى اليوم، وأول عمل فني معماري أقامه الفاطميون في مصر، ولا يزال قائمًا حتى اليوم.

ويقع الأزهر في الجنوب الشرقي من قاهرة المعز، على مقربة من القصر الكبير الذي كان موجودًا حينذاك بين حي الديلم وحي الترك في الجنوب، وقد زاد كثير من الحكام الفاطميين في بناء هذا المسجد وأُعيد تجديد أجزاء كثيرة منه خلال القرون الماضية، كما أضيفت إليه زيادات عدة، مما جعل معرفة التخطيط الأصلي للجامع من الأمور الصعبة، وإذا كان الجامع لا يزال يحتفظ ببقية من النقوش والكتابات الكوفية والعقود الفارسية التي تُعد من مُميزات العمارة الفاطمية، فإن كُل أجزائه الحالية هي من عصور مُتأخرة، وقد كان المسجد يتألف من صحن تُحيط به أروقة، ولم يبق من الجامع الأصلي سوى قسم صغير، وأصبح الأزهر موضع إعادة تنظيم

وترميم وإضافات من جانب أغلب كبار حُكام القاهرة مُنذ الحافظ حتى قايتباي الذي أضاف إليه محرابًا ومأذنة وكذلك بوابة.

كما أضاف إليه السُلطان الغوري مأذنة ثانية، وعندما أضاف قايتباي بوابة المزينين أصبحت المدرستان الطيبرسية والأقبغاوية المجاورتان للجامع ضمن مجموع مباني الجامع، علمًا بأن البوابة الحالية ترجع إلى العصر العثماني وتنسب إلى عبد الرحمن كتخدا الذي أضاف الكثير إلى مساحة الجامع في ذلك العصر.

وتتمتع القاهرة بالعديد من الحمامات، ويذكر أن أول من بنى الحمامات في القاهرة العزيز بالله نزار بن مُعز الدين، ومن أشهر حمامات القاهرة القديمة حمام الملاطيلي، وأقيم بشارع مرجوش بالقرب من جامع الغمري، وحمام المقاصيص الذي يقع بأول عطفة المقاصيص، وقد صار هذا الحمام حمامًا لدار الوزير المأمون بن البطائحي، وكذلك حمام قلاوون الذي يقع في شارع النحاسين، ويُعرف أيضًا بحمام المارستان المنصوري.

كما ضمت القاهرة منذ إنشائها العديد من الأسواق، إلا أن أغلبها شُيد في نهاية العهد المملوكي، وكانت هذه الأسواق تُثير إعجاب التُجار الأجانب بسبب أنشطتها وثرائها، ومن أشهر هذه الأسواق سوق خان الخليلي وهو على هيئة قصر مهيب متسع للغاية مبني من الحجر المشذب، ويرتفع ثلاث طبقات، كما تُوجد في الأدوار السُفلى حوانيت تُحيط بميدان مُربع الشكل يقع في الوسط، وفي مواجهتها يوجد صف من العقود المُتكررة المرفوعة على أعمدة رائعة الجمال والمحيطة بها من جميع الجهات، وفي هذا المكان يعقد التجار صفقاتهم.

أما الميدان الذي في الوسط فإنه يُستخدم كإطار لبيع البضائع بالمزاد،

ولعقد صفقات البيع والشراء بالجملة، وليس مسموحًا بالإقامة في هذا المكان إلا للتجار ذوي السُمعة الطيبة.

ومن الأسواق الشهيرة الأخرى سوق الفحامين وهو مقر لتجار الفحم البسطاء مُنذ أمد بعيد، ومع ذلك ظل مُحتفظًا بهذا الاسم بالرغم من تحويله لمقر لتجار المنسوجات الموسرين، وهُناك سوق باب الفتوح وهو في داخل باب الفتوح وبه محلات الجزارين، والخضريين، والفحامين، وعُرفت القاهرة مُنذ تأسيسها بمكانتها العلمية المتميزة، فموقعها كحلقة وصل بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي جعل منها مركزًا هامًا.

تميزت القاهرة أيضًا بوجود العديد من المدارس ففي عهد الدولة الفاطمية أنشأ الوزير الكردي ابن السلار الذي كان يعمل في خدمة الدولة مدرسة ابن السلار، وقد أُنشئت هذه المدرسة عام 1152م، وكان يقوم على إدارتها إمام عظيم من أئمة المُسلمين، وعالم كبير من عُلماء الحديث هو الحافظ السِلفي، وفي عام 1171م أنشأ صلاح الدين مدرستين قامت إحداهما على آثار دار تُسمى دار المعونة، وكان يحبس فيها من يُراد حبسه، فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية، وقد عُرفت هذه المدرسة باسم المدرسة الناصرية نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين، أما المدرسة الثانية، فقد كانت للمالكية، وسُميت باسم المدرسة القمحية نسبة إلى القمح الذي كانت تحصل عليه من ضيعة بجهة الفيوم وقفها صلاح الدين على هذه المدرسة التي عُرفت كذلك بدار الغزل، وبعد سقوط الحكم الفاطمي زاد صلاح الدين على المدرستين السابقتين ثلاث مدارس أخري هي: مدرسة للفقهاء الحنفية وهي المدرسة السيوفية، ومدرسة بجوار الإمام الشافعي، وأخرى بجوار المشهد الحسيني.

استمر سلاطين الدولة الأيوبية في بناء المدارس، فكانت هناك المدرسة

الكاملية «دار الحديث»، وهي المدرسة التي أنشأها السلطان الملك الكامل محمد الأيوبي، وتُعتبر الدار الثانية في الترتيب بين الدور التي تخصصت في الشرق الإسلامي لدراسة الحديث، أما الدار الأولى فهي التي بناها نور الدين زنكي بدمشق، وهناك المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام 1242م، وكانت أشبه شيء بجامعة كُبرى ذات كُليات أربع تختص كُل واحدة منها بمذهب من المذاهب الأربعة المعروفة، وكانت هُناك المدرسة الفاضلية نسبة إلى القاضي الفاضل، وبناها عام 1185م، ولهذه المدرسة شُهرة في التاريخ، ومرجع ذلك إلى المكتبة العظيمة التي ألحقها القاضي الفاضل بها وجمع فيها من كُتب العصر الفاطمي وحده مائة ألف مُجلد، وكذلك مدرسة الظاهر بيبرس التي أسسها عام 1262م وزودها بمكتبة هائلة، وجعلها تعني بسائر العلوم، ووقف عليها أوقافًا عظيمة، وأسس الظاهر مدرسته هذه على نمط المدارس الأيوبية ولم يكتف بها، بل بنى بجوارها مكتبًا لتعليم القراءة والكتابة ليتامى أبناء المُسلمين.

ولعل أهم المراكز العلمية شُهرة بالقاهرة كان دار الحكمة التي أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي بإنشائها عام 1005م، حيث أراد لها أن تكون أفضل من بيت الحكمة الذي ببغداد، وقد زود الحاكم هذه الدار بمكتبة عُرفت باسم دار العلم وحُملت إليها الكُتب من خزائن القصور ومن مصادر مُتعددة، فكانت فيها كُتب نفيسة ومخطوطات نادرة في الدين والآداب والعلوم بفروعها المُتعددة، كما أمدها الحاكم بأمر الله بكل مستلزمات

النساخين من أقلام ومحابر وورق، وأقيم لها قوام وخدام وفراشون وغيرهم، وكانت دار الحكمة تزخر دائما بالفُقهاء والقُراء والنُحاة والفلكيين والأطباء.

وظلت دار العلم مفتوحة ينتفع الجمهور بما فيها من الكتب إلى عام 1123م حيث أمر الوزير الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي بإغلاقها بسبب خلافات بين رجالها، على أن فترة إغلاق دار العلم لم يطل أمدها، فقد أعادها الحاكم بأمر الله إلى ما كانت عليه.

واشتهر من أبناء القاهرة عُلماء أجلاء في مُختلف العلوم، ففي العلوم الشرعية اشتهر الإمام الشافعي صاحب أحد أكبر المذاهب الفقهية عند أهل العام، وسعد بن ليث بن عبد الرحمن الفهمي الفقيه إمام أهل مصر في عصره، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم مُؤرخ من أهل العلم بالحديث، ومن علماء اللغة اشتهر جلال الدين السيوطي وكان من علماء اللغة والشريعة، وألف في الفقه والتفسير وعلوم القرآن والحديث، ومحمد بن جلال الدين مكرم بن نجيب الدين المعروف بابن منظور صاحب معجم لسان العرب، وأبو الفضل محمد بن عبد الرازق الزبيدي صاحب مُعجم تاج العروس، ومن المُؤرخين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، وأبو محمد عبد الله بن يُوسف الأنصاري الشهير بابن هشام، كما اشتهر من الأطباء داود الأنطاكي وهو صيدلاني وطبيب ولد في أنطاكية بسورية واستقر في القاهرة، وموفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور الشهير بابن العين الزربي الطبيب وعالم النجوم والرياضيات والمنطق، وأبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد وكان عالمًا بصناعة الطب خبيرًا بأصولها وفروعها.

كما اشتهر فيها من الرياضيين أبو علي الحسن بن الهيثم عالم الفيزياء

والبصريات والرياضيات وكان مولده البصرة ثم هاجر إلى القاهرة وعاش فيها، ومن الفلكيين أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس، ومن الكيميائيين علي بن محمد أيدمر الجلدكي وكان قد تنقل بين مصر ودمشق وألف بعض كتبه في القاهرة والبعض الآخر في دمشق [1].

ومن أشهر آثار القاهرة مسجد ابن طولون، وقد قام أحمد بن طولون ببنائه عام ثمانمائة وتسعة وسبعين ميلادية، ويقع في حي السيدة زينب بالقاهرة، وكان الخليفة العباسي في بغداد قد أرسل أحمد بن طولون ليتولى إمارة مصر، وما أن وصل حتي قام ببناء هذا الجامع، كما يُعتبر أقدم وأكبر مسجد في مصر كلها، كما يحتوي علي العديد من الصفات الخاصة، والتي لا تتوافر إلا فيه، وذلك مثل السُلم الحلزوني الخارجي للمأذنة (الوحيدة من نوعها في مصر)، كما يتميز هذا المسجد ببساطة تصميمه، حيث يتكون من صحن مفتوح وبه نافورة في الوسط، ويُحيط بهذا الصحن أربعة أروقة أكبرها هو رواق القبلة، والمسجد مُشيد على الطراز العباسي.

هُناك أيضًا جامع مُميز ولا يقل روعة عن جامع ابن طولون وهو جامع محمد علي، والذي يقع في القاهرة، وصَمَمه اليوناني يوسف بوشناق، وتم بناؤه بأمر من محمد علي باشا حاكم مصر ومُؤسس آخر أسرة ملكية حكَمَتْ مصر، وتم البدء في بنائه عام ألفٍ وثمانمائة وثلاثين ميلادية وتم الانتهاء منه

(1) صنفتها مُنظمة اليونسكو مدينة تُراثية عالمية عام 1979م.

عام ألفٍ وثمانمائة وسبعة وخمسين ميلادية، وهو مُشيد على الطراز العثماني، يحتوي المسجد على قبر محمد علي، وهو معروف بمسجد المرمر بسبب كثرة استخدام حجر المرمر في بنائه، كما ويبلغ طول مأذنته حوالي مائتين وسبعين قدمًا، ومن ساحته يستطيع الزائرون مُشاهدة منظر رائع للمدينة حتى أهرمات الجيزة، وقُبة المسجد مبنية على الطراز العثماني أيضًا ويبلغ ارتفاعها مائة وسبعين قدمًا، والحاجز الموجود في الجنوب الغربي يُتيح منظرًا رائعًا لمسجدي السُلطان حسن وابن طولون وللقاهرة نفسها، ويُعد هذا المسجد مزارًا معروفًا للسُياح.

لكن إذا تكلمنا عن السياحة وحُب السُياح لأكثر المناطق الأثرية بالقاهرة، فإن أهرامات الجيزة تأتي في الصدارة، وذلك تُعتبر من أكثر الأماكن شُهرة بمصر كلها، بل في العالم أجمع، وذلك لما تتمتع به من شُهرة عالمية.

وتقع الأهرامات في مدينة الجيزة المجاورة للقاهرة، ولكنها لا تبعد عن القاهرة سوي عشر دقائق فقط، ذلك لأنه لا يوجد فرق بين مُحافظة الجيزة ومحافظة القاهرة فإنهما يمتزجان معًا ولا يفصل بينهما سوي نهر النيل، ويربط بين المُحافظتان عدد هائل من الكباري الكبيرة والمُنتشرة بالقاهرة، كما تحتوي منطقة الأهرامات على أشهر تمثال بالعالم وهو تمثال أبو الهول، والذي بناه الفراعنة ببراعة فائقة، كما إنه بُني على شكل فريد من نوعه، وذلك لأن رأسه رأس إنسان، ولكن باقي جسده هو جسد أسد، وهذا الأمر يرمز إلى قوة الفراعنة، وذلك لأنهم يرمزون للرأس إلي أنهم أذكياء، ولكن قوتهم كقوة الأسد.

وأهرمات الجيزة من أبدع ما قام به الفراعنة على مر العصور، كما يأتي السُّياح من كُل أرجاء الأرض ليُشاهدوا هذا الإبداع الأثري الذي عاش لأكثر من سبعة آلاف عام.

***

الإسكندرية

هي مركز مُهم من مراكز الثّقافة والسياحة والتّجارة والزّراعة والصناعة بجمهورية مصر العربية، كما تنتشرُ فيها المصانع العديدة التي تُنتجُ مُختلف الأنواع من السّلع الاستهلاكية الغذائية والزّراعية والتعدينيّة والكهربائية، وهي ثاني أكبر مُدن جمهورية مصر العربية بعد القاهرة العاصمة، وهي من أعظم موانئ البحر الأبيض المتوسّط على الساحل الإفريقي، كما تقع على خط عرض 31° شمالًا وهي بين مدينتي رشيد شرقًا ومرسى مطروح غربًا، كما تمرّ بها السكك الحديد الآتية من القاهرة فطَنْطَا لتصلها بالسلّوم على الحدود المصرية اللّيبية.

ووضع الإسكندر الأكبر حجر أساس المدينة العالمية عام 331 قبل الميلاد وأوكل مُهمة تخطيطها إلى دينوكراتيس البارع في الهندسة، والذي قام بتخطيط المدينة مثل رُقعة من الشطرنج بحيث تكون شوارعها مُستقيمة من الشمال إلى الجنوب، وتقطعها شوارع مُستقيمة من الشرق إلى الغرب والعكس صحيح، وبين هذه الشوارع شارعان كبيران أحدهما من الشمال إلى الجنوب، وأغلب هذه الدراسات تُؤكد أنه شارع النبي دانيال الحالي، والثاني من الشرق إلى الغرب هو طريق كانوب القديم أو طريق أبو قير حديثًا، أو طريق الحُرية ثُم طريق جمال عبد الناصر، والشارع الأول الذي يحمل اسم